وقفة: مع المسجد

في المسجد أيها الأحبة في الله، تحيا القلوب، وتسجد الجباه، وتتراصّ الصفوف، وتتوحد النفوس، وتُبنى الجيوش، ويتآلف المسلمون.

فهل عرفنا للمساجد آدابها وأحكامها؟ وهل عملنا بتلك الأحكام والآداب، ونحن نعلم بأنها بيوت الله، ينادى فيها لعبادته، ويذكر فيها اسمه؟

والله لقد كثرت الشكاوى من عدم معرفة تلك الأحكام، ولا مراعاة تلك الآداب، فكيف الأمر ونحن نتحدث عن بيوت الله، تلكم التي نسبها الله إليه فقال:{وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ} [الجن: ١٨]، وكرر وذكر:{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ } [التوبة: ١٨].

هي المساجد، قدرها عند الله عظيم، هي بيوتك يا الله، ولكن هل نجعلها أيها الحبيب المبارك، هل نجعلها مثل بيوتنا علي أقل تقدير؟ هل عندما نأتي إليها نعرف حرمتها؟ هل عرفنا قدرها؟ هل استشعرنا عظمة مالكها؟ وعلو مكانتها؟ لا... إلا قليل فالله المستعان.

ونحن نتحدث عن بيوت الله، يجب أن نعلم أنّ عمّار المساجد هم أهل الله، الذين يجيبون نداءه، ويخِفّون لطاعته، ويُقبلون إلي مرضاته، ويعملون بقوله:{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾} [التوبة: ١٨].

يقول ابن كثير رحمه الله: (شهد الله بالإيمان لعمّار المساجد)، وروى عبد الرزاق في المصنّف عن عمر بن ميمون أنه قال: (كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أدركتهم وهم يقولون: إنّ

المساجد بيوت الله في الأرض، وأنّه حقٌ على الله أن يكرم من زاره فيها، وأنه حق على الله أن يكرم من زاره فيها)، وظلّ يكرر.

لكنّ الضيف يا أحبتي في الله، يجب أن يراعي أدب المكان، وأدب المضيّف، والمكان بيت الله، والمضيف هو الرحمن سبحانه وتعالى، فكيف بنا نخدش ذلك؟

كيف بنا ننسى:{يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ} [الأعراف: ٣١]، قال ابن كثير في تفسيره: (وفي هذه الآية مع ما ورد في السنة النبوية، يُستحبّ التجمّل عند الصلاة ولا سيما يوم الجمعة، الطيب لأنّه من الزينة، والسواك لأنه من تمام ذلك).

وايْمُ الله أيها الأحبة، وايم الله، إذا ذهبنا لزيارة الأصدقاء، فضلاً عن المسؤولين والفضلاء، تزيّنا لذلك، لبسنا أمام البشر من الثياب أحسنها، ووضعنا من أنواع الطيب أعطرها، وجعلنا لأنفسنا من الهيئات أفضلها.

وإذا جاء بعضنا إلي المساجد، ونوى زيارة الرحمن في بيته، يأتي بثياب النوم التي لا يرضى أن يراه بعض الناس فيها، والآخر يأتي في ثياب مهنته قد اسودّ بعضها، وثالث يأتي بلباس قد كُتب عليه من الكلمات والصور مالا يليق ببيت الله، ورابع في لباس مخالف لستر العورة، إمّا من قصر أو ضيق أو تشبه أو غير ذلك، فهل عمل هؤلاء بقول الله:{يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ}؟ هل طبّق مثل أولئك قول ربهم:{خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ}؟

والله الذي لا إله غيره، لو أراد أحدهم زيارة المدير أو المسؤول للبس أجمل الثياب، ولمسّ من أطيب الطيب، ولتسوّك بأفخر السواك.

أمّا الله، فصار أهون المُزارين، صار الجبّار بجلال قدره أهون

من يُزار، عذراً يا الله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

كان من هيئة الإمام مالك، إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى، كما جاء في ترجمته: أنّه إذا خرج إلي المسجد اغتسل، ولبس أحسن ثيابه وتطيّب، فإذا خرج لم يكن يكلم أحداً، ولا يكلمه أحد، حتى يدخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيصلي ثم يشرع، فيحدث بحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم .

هكذا كانوا يعرفون حق قدومهم علي بيوت الله، يعرفون قيمة المكان، وقيمة المزار، من غير مخيلةٍ ولا رياءٍ ولا مبالغة، لكن من غير استهانة وتفريط وعدم مراعاة حرمة وتقدير يعملون بقول الله:{خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ}، وهم حتمًا ممن قدروا الله حق قدره، فرضي الله عنهم ورضوا عنه.

وعند البخاري من حديث جابر وغيره عن رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم أنه قال:♂**من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا، أو فليعتزل مسجدنا**═، والمقصود هنا كراهة الرائحة وكل ما هو من هذا الباب داخل فيه وملحق به.

فالمدخنون يا عباد الله، الذين يؤذون الناس برائحتهم - شاءوا أم أبَوْا - قد آذوا المصلين، وآذوا ملائكة الله المقرّبين، المدخّنون يعيثون في بيوت الله فساداً، فيرمون أعقاب السجائر بجوار المساجد، وربما داخل أسوارها، ويضعون الدخان في أبوابها، بل قد يصلون مع الناس والدخان في جيوبهم، فهل الدخان من الزينة التي أمرنا بأخذها إلي المساجد؟ هل عمل المدخنون بقول الله:{خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ}؟ والجواب متروك لكل مدخن:{وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}.

ومثل سابقيهم من يأتون والعرق يتسايل علي جباههم، والرائحة الكريهة تفوح من أبدانهم، والأقذار علي ثيابهم، ينفّرون المسلمين من

أن يقفوا في الصف إلي جوارهم، وإن وقفوا فما بالعبادة انشغلوا.

بالله عليك أيها الأخ الحبيب، وكن منصفًا، هل مثل هذا وذاك، إذا أراد أن يذهب لزيارة صديق سيذهب علي تلك الهيئة؟ أهانت بيوت الله عزّ وجلّ في النفوس حتى بلغت مثل هذا المبلغ؟ أهانت بيوت الله إلي هذا الحد؟{مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾} [نوح: ١٣].

مالكم أيها المسلمون لا ترجون لله وقاراً، هل ذهب تعظيم الله من قلوبكم؟ هل ذهب الاستشعار لعظمة بيوته في صدوركم؟ أبلغت بيوت الله عندكم منزلة الصغار؟ عذراً يا الله عذراً.

قال الله تعالى:{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ} [النور: ٣٦]، قال المفسرون: إنّ التطهّر من الأدناس والأرجاس والأقوال والأفعال، وأمر نظافة المساجد أمر عظيم، وأجر كبير، ففي سنن أبي داود وغيره عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال:♂**عُرضت عليّ أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد**♂.

الله أكبر، داخل في الأجور أن تأخذ قشرة أو قشة فتخرجها من المسجد وتطهره، معروضة مرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأعمال التي لها أجر خاص لأمته صلوات ربي وسلامه عليه.

رَوى البخاريّ وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ امرأةً كانت تقم المسجد علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فماتت، فتفقدها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعلم بها، فقال:♂**أفلا كنتم آذنتموني بها؟ دلوني علي قبرها**♂، ثم ذهب وصلّى عليها بعد دفنها.

امرأةٌ مجهولة، يتفقدها النبيّ صلى الله عليه وسلم، ويسأل عنها، ويعاتب الصحابة علي عدم ذكرها، لا لأنها ذات منصب، ولا

لجمال، ولا لجاه، ولا لمال، ولكنها عرفت قيمة بيوت الله، لأنها عرفت قدر بيوت الرحمن، فهل عرفنا نحن قدرها؟ وهل عملنا فيها بهدي الكتاب والسنة؟ وهل دخلنا في قول الله:{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾} [التوبة: ١٨].

فيا أيها الأخ الحبيب، ويا أيتها الأخت الفاضلة: أين نحن من تلك المرأة التي تخرج الأذى من المسجد؟

وأمر آخر لا يقل شأناً، فكم تسمع من حديث ليس فيه ذكر ولا طاعة، بل ربما كان حديث في أودية الدنيا وشعابها، أو غيبة ونميمة، أو بيع وشراء، أو سخرية بالداخل واستهزاء.

في بيوت الله، كم تُرفع الأصوات، كم تعلوا الضحكات، وقد أفتى الإمام مالك رحمه الله في المدونة بكراهة رفع الصوت في المسجد مطلقاً، ومن ذلك الصغار الذين يعبثون في المساجد فساداً، يلعبون فيها، ويجعلون من النجاسات والقاذورات، وآباؤهم يسرحونهم في المساجد كما يسرحونهم في الملاعب والملاهي غير عابئين، ولا آبهين بذلك، وغير ذلك مما هو أشد وأخطر.

فالله الله في بيوت الله، الله اللهَ في مساجد الله، الله اللهَ أن تعظم، ويرفع فيها اسمه، وأن يتهيأ المسلم لها بما ينبغي لها:{وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾} [الجن: ١٨].

فيا أيها القارئ الكريم، احذر كل الحذر، من تخطي الرقاب الذي يحصل في الجمعة وغيرها، وهو منهيّ عنه شرعاً، وتصرف مذموم عقلاً، وكذلك حجز الأماكن، وهو أن يجعل المسلم له مكاناً محدداً، يجب أن يصل إليه، وكلها أمور ما أنزل الله بها من سلطان.

فيا أيها الفضلاء الأعزاء، إذا أردتم الخروج إلي المساجد، خذوا

زينتكم عند كل مسجد، فتطهروا، وتطيّبوا، ومن أفضل الثياب البسوا.

إذا أردتم الخروج إلى المساجد، فاستحضروا النية الصادقة، واجعلوا لله وقارا، واحفظوا ألسنتكم من قيلٍ وقال، وإياكم ثم إياكم، إياكم أن تدخلوا تحت طائلة قول الله تعالى:{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾} [البقرة: ١١٤].

فهذه وقفة أيها المسلم، مع ما ينبغي تجاه بيوت الله باختصار، فاحرص على تطبيق ما قرأت، ولا تتكاسل، ولا تكن من الذين يأتون بيوت الله في كسل، فيقضون وقتًا قصيرًا على ملل، بل كن ممن يعمرون بيوت الله، عساه تعالى أن يجعلني وإياك من المهتدين، اللهم آمين.

* * *